ألف حكاية وحكاية (٣٩)

# أم فوق الجليد

وحكايات أخرى
يرويها
**يعقوب الشاروني**



رسوم
**عبد الرحمن بكر**

مكتبة مصر

# أم فوق الجليد

فى نهايةِ القرنِ الماضى، أثناءَ فصلِ شتاءٍ شديدِ البرودةِ ، كانتْ هناكَ عربةٌ تجرُّها الخيولُ ، تعبُرُ أحدَ الممرَّاتِ الضيقةِ الطويلةِ فى جبالِ الألبِ ، وبداخلِها سيدةٌ مع طفلِها الصغيرِ.

وفجأةً انخفضَتْ درجةُ الحرارةِ جدًّا ، فالتفتَ السائقُ ، فرأى السيدةَ قد أوشكَتْ أن تتجمَّدَ من البردِ . وحاولَ أن يُنبِّهَها ، فلم يستطعْ ، فأدركَ أن البردَ يخدِّرُ جسمَها ، وأنه إذا لم يُسرعْ بعلاجِها ، فستموت.

عندئذٍ سارعَ وأخذَ الطفلَ منها ، ودلَّكَ جسمَهُ جيدًا ، ثم لفَّهُ بأغطيةٍ صوفيةٍ ثقيلةٍ ، ووضعَهُ فى ركنٍ من العربةِ . ثم حملَ السيدةَ ، ونزلَ بها من العربةِ ، وظلَّ يجذبُها بعنفٍ فوقَ الثلجِ ،حتى تنبَّهَتْ قليلاً وهو يصيحُ بها:

" تنبَّهى ، وإلا فلن تشاهدى ابنَكِ بعدَ الآن !! "

فصاحَتْ فى لهفةٍ :

" ابنى . . . أريدُ ابنى ... "

عندئذٍ تركَها السائقُ، وعادَ إلى العربةِ ، وانطلقَ بها ، لكن بسرعةٍ معقولةٍ .



وبدأتِ الأمُّ تجرى وراءَ العربـةِ وهى لا تزالُ تحتَ تأثيرِ البردِ المُخدِّرِ ، وصورةُ ابنِها أمامَها ، كأنما تجذبُها بحبالٍ خفيَّةٍ .

وأخيرًا تنبَّهتْ تمامًا ، وأخذَتْ تجرى بكلِّ قواها وهى تصرخُ وتقولُ :

" ابنى. . ابنى . . خطفوا ابنى! "

فلما تأكَّدَ السائقُ أنهـا استردَّتْ كاملَ وعْيِها ، واطمأنَّ إلى أن الجَرْىَ والحركةَ قد أعادا النشاطَ إلى دورتِها الدمويـةِ ، أوقفَ العربةَ وأركبها.

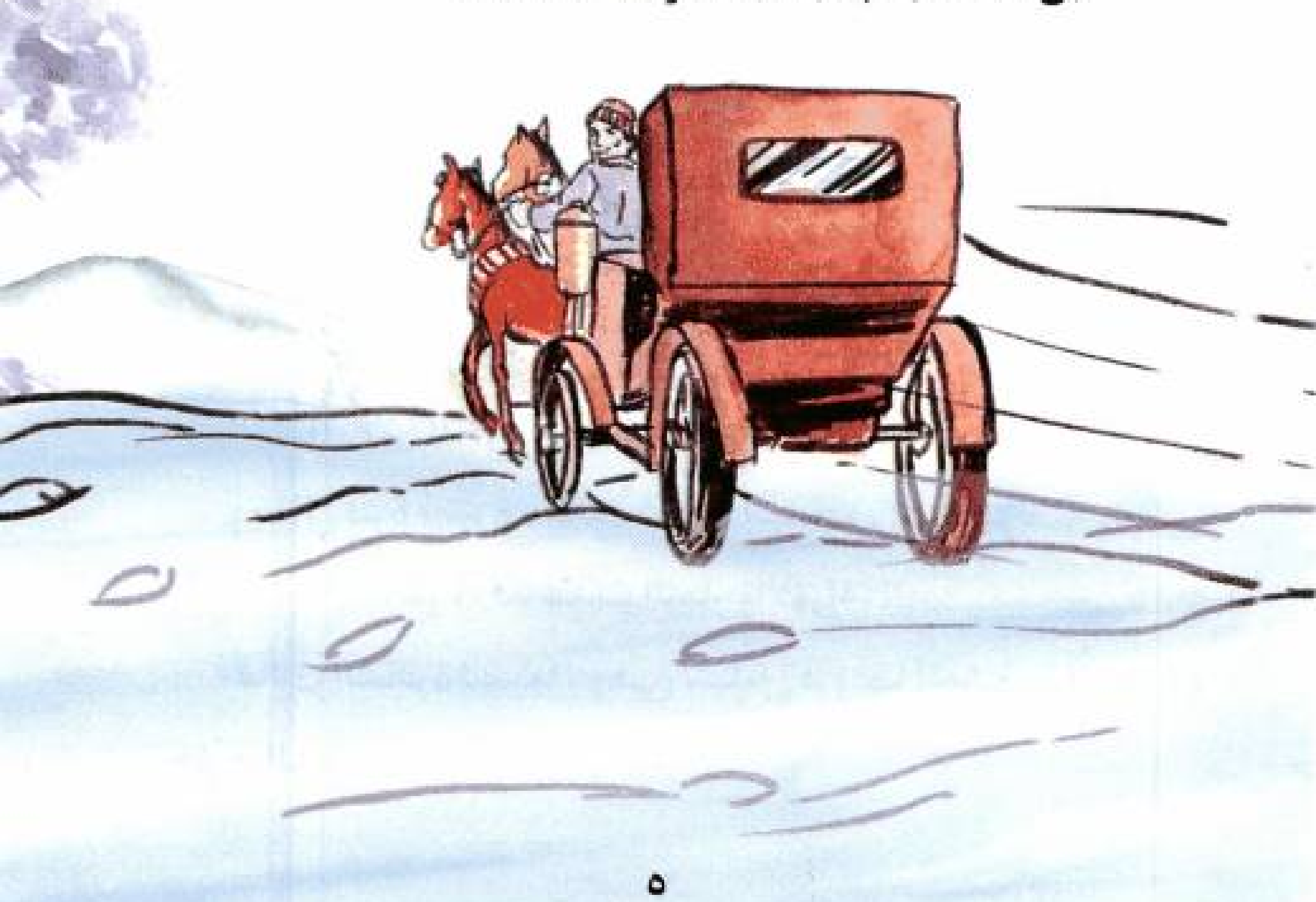


وعندما احتَوَتِ الطفلَ ثانيةً بيَن ذراعَيْها ، وهـي تضمُّـهُ إلى صدرِها، التفتَتْ إلى السائقِ ودموعُ الشكرِ تملأ عينَيْها ، وقالَتْ:

" لقد ظنَنْتُ أنكَ تُريـدُ أن تَخطـفَ ابنـي . . وملأتْنـي هـذه الفكـرةُ بـالقوةِ والعزيمـةِ . . . بـل بـأقوى القـوةِ ، وبأشـدِّ العزيمـةِ ، فوجدْتُ نفسي أنسى الضعفَ والبردَ ، ويزايلُنـي الخـدرُ والإعيـاءُ ، وانطلقْتُ أجرى كمـا لم أجرِ مـنْ قبلُ فـى حيـاتى . . . وهكـذا أنقـذْتَنى من الموت. "

قالَ السائقُ:

" بل أنقـذَكِ حبُّكِ لابنِك ، ولهفتُـكِ عليه . "



# لماذا فَقَدَتِ الثمار و الأغصان ؟!!

كانَتْ هنـاكَ حديقةٌ واسعةٌ ، مملـوءةٌ بأشجارِ الفاكهةِ ، ومُحاطةٌ بسورٍ مرتفعٍ . وفى الربيعِ كانَتِ الأشجارُ والنباتاتُ تكتسى بالأوراقِ والأزهارِ . وفى الصَّيفِ ، تمتلئُ بالثمارِ .وكانت من بَيْنـِها شجرةُ مانجو .

قالَتْ شجرةُ المـانجو ذاتَ يـومٍ : "لمـاذا يجبُ أن أظلَّ مُختبئةً فى هذه الحديقـةِ ؟!! أريدُ أن أمدَّ فروعى إلى الطريـقِ ، لكـى يرى الجميعُ وفرةَ ثمارى ."

وهكذا أخذَتْ تمدُّ فروعَها الجميلةَ شيئًا فشيئًا من فوقِ السورِ ، حتى يراها الجميعُ . ولكن عندما أصبحَتْ فروعُها مُحمَّلـةً بالثمـارِ ، بدأ الرائحـون والغادون يقطفـونَها . . وعـندما لم تتمكَّـنْ أيديهم من الوصولِ إلى الثمرِ ، كانوا يستخدمـون العِصِىَّ أو الأحجارَ !!

وخلالَ فترةٍ قصيرةٍ ، كانَتْ شجرةُ المانجو ، التى ضُرِبَتْ بالعِصِىِّ ورُجِمَتْ بالأحجارِ ، قد فقدَتِ الثمارَ والأوراقَ !!

قالَتِ الشجرةُ لنفسِها ، وهـى تتـأمَّلُ فروعَها المُشوَّهةَ المُـدلاةَ خارجَ السورِ :


"لقد أخذْتُ أتباهَى بما عندى فى غيرِ ضرورةٍ ، فأثَرْتُ فى
نفوسِ الآخرين الرغبةَ فى تحطيمى ، والاستيلاءِ بأيةِ وسيلةٍ على كلُ
ما عندى !!"

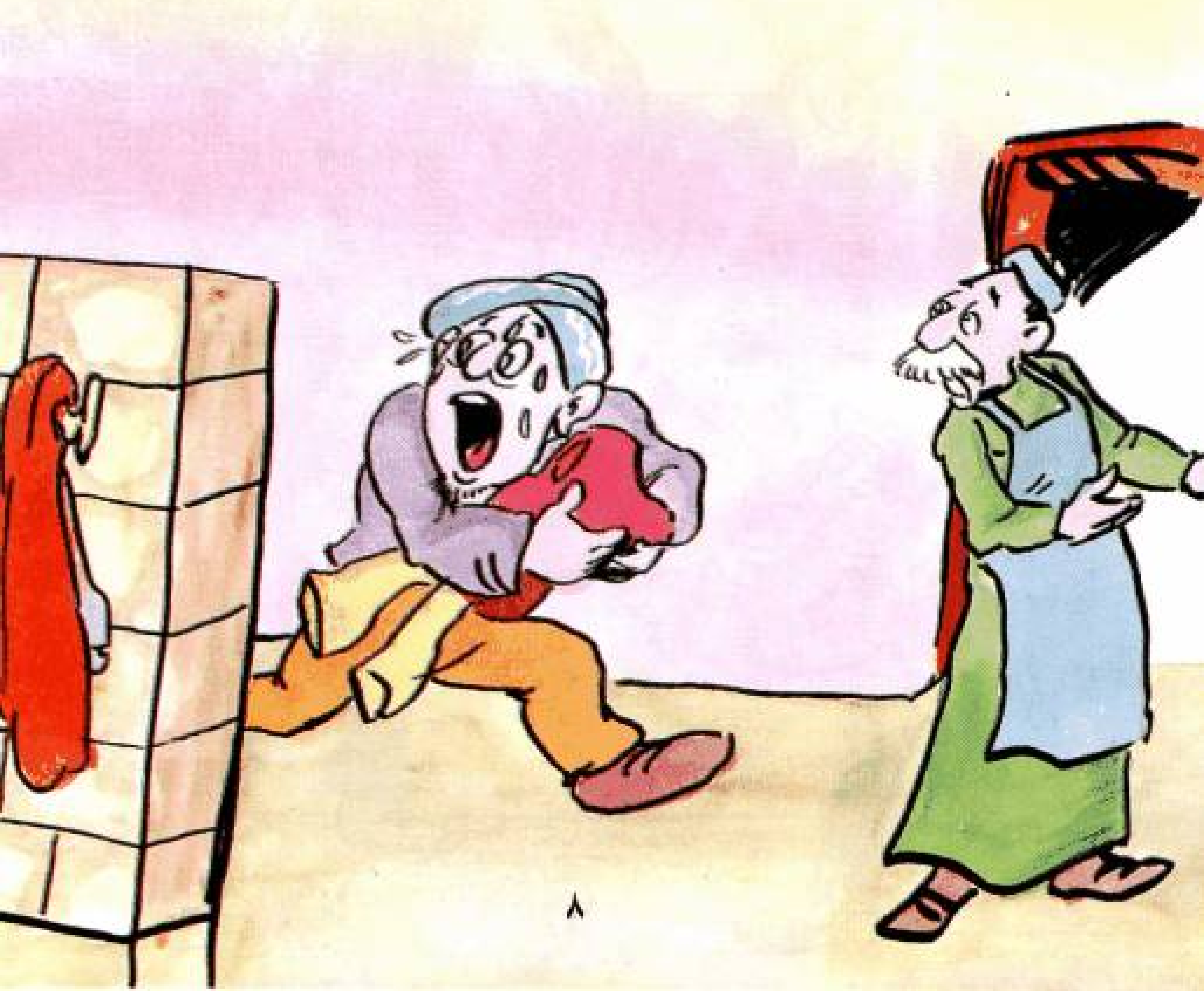
# جحا يعلم !!

دخلَ جحا إلى الحمَّامِ العامِّ ، وعندما تأهَّبَ للخروجِ ، اكتشفَ أن ثيابَهُ قد سُرِقَتْ ، فرفعَ صوتَهُ صائحًا :

" أنا أعلم . . . أنا أعلم . . . "

فسمعَهُ اللصُّ ، ففزِعَ إذ ظنَّ أن جحا قد عرفَهُ .

وفى هدوءٍ اقتربَ اللصُّ من جحا ، وأعادَ إليه ملابسَهُ وهـو يقولُ له :



" سمعْتُكَ تقولُ إنك تعلمُ ، فما الذى كنْتَ تعلمُهُ ؟ "

أجابَ جحا :

" كنْتُ أعلمُ أننى بغيرِ ثيابى، سأموتُ من البردِ !! "



# شبر واحد !!

تحكى كتبُ العربِ ، أن الأصمعِىَّ ، عالِمَ اللغةِ (٧٤٠-٨٣١م) ، دخلَ ذاتَ يومٍ على الخليلِ بنِ أحمدَ ، وهو أستاذُ الأصمعِىِّ فى علومِ اللغةِ (٧١٨-٧٩١ م) ، وكانَ جالسًا على حصيرٍ صغيرٍ ، فقالَ له الخليلُ مرَحِّبًا :

"تفضَّلْ ، تعالَ اجلسْ بجوارى ."

فقالَ الأصمعِىُّ :

" أخافُ أن أُضَيِّقَ عليكَ المكانَ . "

قالَ الخليلُ وهو يبتسمُ :

" الدنيا بأسرِها لا تسعُ مُتباغضَينِ ، ولكنَّ شبرًا واحدًا يسعُ مُتحابَّيْنِ !! "

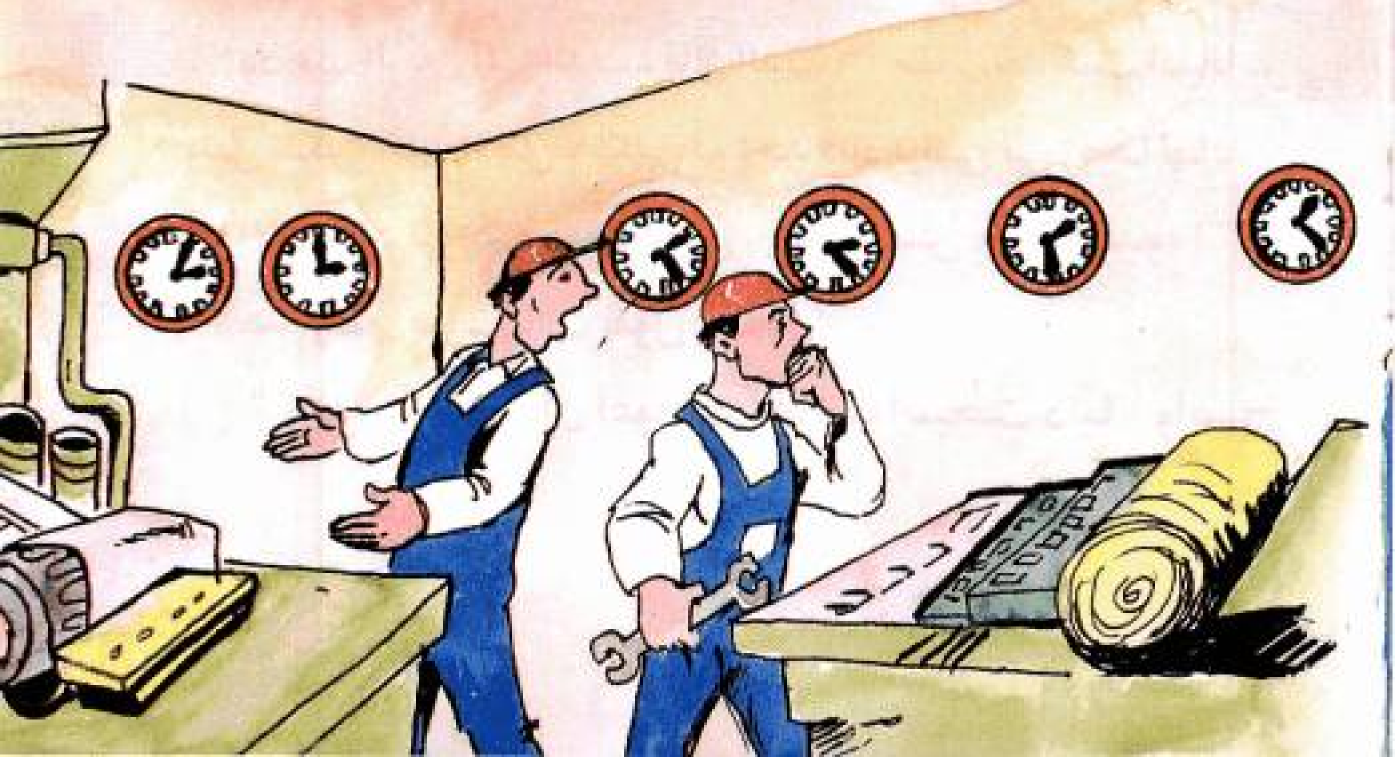


# عشرات من الساعات

بعدَ أن افتتحَ المخترعُ الكبيرُ "توماس إديسون" مصنعَهُ الأولَ بفترةٍ قصيرةٍ ، لاحظَ أن العمالَ اعتادوا النظرَ دائمًا إلى الساعةِ الوحيدةِ المُعلَّقةِ على حائطِ المصنعِ ، وكأنهم يتعجَّلونَ الانتهاءَ من عملِهم .

شعرَ إديسون بالضيقِ ، لكنه لم يُصرِّحْ باستيائه لمُستخدميهِ ، بل أحضرَ عشراتٍ من الساعاتِ ، وعلَّقَها في كلِّ أنحاءِ المصنعِ ، وجعلَ كلَّ ساعةٍ تُشيرُ إلى وقتٍ يختلفُ عن الوقتِ الذي تُشيرُ إليه الساعاتُ الأخرى .

ومنذُ ذلك الوقتِ ، وجدَ العمالُ أن النظرَ إلى ساعاتِ المصنعِ يُسبِّبُ لهم ارتباكًا شديدًا ، فلم يعُدْ أحدٌ منهم يهتمُّ بالنظرِ إلى الساعةِ.



# إنهم يرفضون الدواء

يُحكَى أنه فى جزيرةٍ بعيدةٍ ، كـانَتْ تعيشُ ساحرةٌ ، اعتادَتْ أن تُحوِّلَ كلَّ رجلٍ ينزلُ على جزيرتِها إلى حيوانٍ مُتوحشٍ . إلا أن قائدَ سفينةٍ توصَّلَ إلى شرابٍ يوقفُ عملَ سحرِ الساحرةِ ، فلا تستطيعُ تحويلَهُ إلى وحشٍ ، بل كانَ يستطيعُ أيضًا بهذا الشرابِ ، أن يُعيدَ وحوشَ الجزيرةِ إلى أصلِها الإنسانِيِّ .

نزلَ الرُّبَّانُ إلى الجزيرةِ ، وفـى سعادةٍ ذهبَ إلى الأسدِ ليُعطيَهُ من الشرابِ الذى يُبْطِلُ سحرَ الساحرةِ . لكنَّ الأسدَ لم يُرحِّبْ بأن يتذوَّقَ ذلك الشرابَ .

قالَ الأسدُ : " لقد كنْتُ مُجرَّدَ عاملٍ فقيرٍ ، لا قيمةَ لى . والآن أصبحْتُ ملكًا على كلِّ الحيواناتِ ، تهابُنى وتخافُ منِّى. سأبقَى كما أنا . "

وذهبَ الرُّبَّانُ إلى الدبِّ . قالَ الدبُّ : " حقًّا . .لقد كنْتُ إنسانًا .. ولعلَّ شكلى كان أفضلَ ، لكنى لم أجدْ فتاةً ترضَى بى زوجًا لها . . . أما الآن ، فقد تزوجْتُ دبةً تُطيعُنى ، ونحنُ نعيشُ معًا فى هدوءٍ ! "

هنا ارتفعَ صوتٌ ثالثٌ يقولُ :

" وأنا أيضًا أرفضُ أن أعودَ إنسانًا . لقد أصبحْتُ ذئبًا ، وأصبحَ

من حقِّي أن أفترسَ ما أشاءُ من حملانٍ وخرافٍ . لماذا أعودُ إنسانًا ، فيمنعَني القانونُ من الاستيلاءِ على دجاجةٍ ؟! "

عندَئذٍ قالَ الربانُ لنفسِهِ في أسفٍ وأسى : " الآنَ فهمْتُ لماذا يتحوَّلُ بعضُ الناسِ إلى وحوشٍ ! "



# وفاء الصقر و الديك

تَقابَلَ صقرٌ و ديكٌ ، فقالَ الصقرُ للديكِ :

" يا ديكُ ، أنتَ قليلُ الوفاءِ . "

قالَ الديكُ : " لماذا تقولُ هذا عنى ؟ "

قالَ الصقرُ :

" إن اصحابَكَ يأخذونكَ وأنتَ مُجرَّدُ بيضةٍ ، فيهتمُّونَ بكَ إلى أن تخرج منها فرخًا صغيرًا ، ثم يُطعِمونَكَ بأيديهم يومًا بعدَ يومٍ .

لكنك متى كبرْتَ، لا تسمحُ لأحدٍ بالاقترابِ منكَ . وإذا رأيتَ أحدًا من أصحابِكَ يقتربُ منك فإنك تطيرُ وتصيحُ ، وتقفُ فوقَ الحوائطِ العاليةِ بعيدًا عن مُتناوَلِ يدَيْهِ .

أما أنا ، فيأخذوننى من الجبالِ وقد كبرَتْ سِنِّى ، ولا آكلُ كثيرًا، ويربطوننى يومًا أو يومَيْنِ ، ثم يُطلِقوننى على الصَّيْدِ ، فأطيرُ إليه ، وأمسكُه ، وأرجعُ به إلى صاحبى . .

إنهم يبذلونَ معك جهدًا كبيرًا ، ثم تهربُ منهم . أما أنا فلا يبذلونَ معى تلكَ العنايةَ ، ومع ذلكَ ، فلا أخافُ ، ولا أهربُ منهم . "

فقالَ الديكُ :

" لو أنكَ رأيْتَ من الناسِ ما أرى ، لكنْتَ أسوأ حالاً منِّى عندما يقتربُ أحدُهم منكَ . فلو أنكَ رأيْتَ صقرًا يشوونَهُ على النارِ ، لما رجعْتَ إلى أصحابِكَ أبدًا .. "



# أكلها إلا واحدة

بعدَ أن بحثَتِ الأمُّ كثيرًا فى المطبخِ ، نادَتْ طفلَها "هشام" ، وسألَتْهُ :

" لقد وضعْتُ ثلاثَ تفاحاتٍ فى أحدِ أدراجِ دولابِ المطبخِ ، لكنَّنى وجدْتُ منها تفاحةً واحدةً فقط . هل تعرفُ السببَ ؟ "

وفى بساطةٍ أجابَ هشام الصغيرُ :

" لأنَّ المطبخَ كانَ معتمًا ، فلم أجدْ هذه التفاحةَ الثالثةَ . "

